مجلة جامعة الزيتونة الدولية للنشر العلمي
Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing
Issue N: 26 – vol 1 / Issn:2958-8537
العدد السادس والعشرين (26) –المجلد الأول
تاريخ 30 – 9 – 2024
(ص56 لـ ص 78)

معالم التشريع الأخلاقي في سور القرآن الكريم المكي

The Landmarks of Ethical Legislation in the Meccan Surahs of the Holy Quran

محمد عبد الكريم راجح

Mohammed Abdulkarim Rajeh

Ph.D. Researcher, Department of Islamic Studies, Faculty of Arts and Humanities, Sana'a University, Yemen.

باحث دكتوراه، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،

جامعة صنعاء، اليمن.

mohrgeh10@gmail.com

https://orcid.org/0009-0007-1626-6937

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى إيضاح أهم معالم التشريع الإلهي للأخلاق التي أراد الإسلام ترسيخها في المجتمع الذي كان حديث عهد بالجاهلية بما كانت تشتمل عليه من سلوكيات خاطئة وقيم بعيدة عن الإسلام ومثله السمحة الكريمة، وقد تناول البحث أبرز معالم التشريع الأخلاقي المتصلة بعلاقة الإنسان مع خالقه التي تعد أساس التشريع الأخلاقي بصورة عامة، ثم تناول بالتفصيل معالم التشريع الأخلاقي فيما يتصل بعلاقة الإنسان مع أسرته التي تعد من أهم أسس بناء الحياة الاجتماعية، إذ تعد الأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع فإذا كانت علاقات أفرادها منسجمة مع توجيهات القرآن الكريم، كانت أسرة عامرة بالخير والتعاون والتفاهم المثمر الذي ينعكس إيجاباً على المجتمع وعلى الحياة برمتها، كما أوضح البحث أيضاً أهم معالم التشريع الأخلاقي في المجتمع المكي من خلال بيان علاقة الإنسان بمجتمعه من خلال الآيات القرآنية التي نزلت في المرحلة المكية. وقد خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها:

1- أن التشريع القرآني المكي أوضح معالم السلوكيات والأخلاق التي ينبغي أن يتعامل بها الإنسان مع خالقه، كالشكر الدائم والاعتراف بوحدانية وعدم الشرك به، والتذلل له والاستلام لأمره، وإرجاع كل أمر إليه، وعدم الاعتراض على تدبيره.

Issue N: 26 – vol 1 / Issn:2958-8537

2- العلاقة بين الإنسان وأسرته علاقة قائمة على السلوك القرآني الذي أمر بقيام كل فرد بواجبه من خلال موقعه في الأسرة، سواء كان زوجاً أم زوجة أم أولاداً، أم غير ذلك من فروعها، وتأسيس مبدأ التعاون الذي هو أساس حياة وأساس انسجام الأسرة.

3- كما أن علاقة الإنسان بمجتمعه علاقة قائمة على إسداء الخير للمجتمع والمحافظة على كينونته وتماسكه من أجل تحقيق التكافل والتعاون وترسيخ مبدأ التواصي بالخير.

الكلمات المفتاحية: معالم – التشريع الأخلاقي – القرآن المكي.

Abstract:

This study aims to clarify the key features of the divine ethical legislation that Islam sought to establish in a society that had recently emerged from pre-Islamic ignorance, which was characterized by wrongful behaviors and values far removed from the noble and tolerant principles of Islam. The research addresses the most important aspects of ethical legislation related to the relationship between humans and their Creator, which is considered the foundation of ethical legislation in general. It then elaborates on the ethical legislation concerning the relationship between individuals and their families, which is one of the most critical foundations for building social life, as the family is the cornerstone of society. If the relationships among its members are in harmony with the guidance of the Holy Quran, it will be a family filled with goodness, cooperation, and fruitful understanding, positively reflecting on society and life as a whole. The research also highlights the main landmarks of ethical legislation in the Meccan society by examining the relationship between individuals and their community through the Quranic verses revealed during the Meccan period.

The study concluded with several key findings, including:

1. The Meccan Quranic legislation clarified the behaviors and ethics that humans should adhere to in their relationship with their Creator, such as constant gratitude, acknowledgment of His oneness, avoidance of associating partners with Him, humility, submission to His command, attributing all matters to Him, and refraining from objecting to His decrees.

2. The relationship between individuals and their families is based on Quranic conduct, which mandates that each person fulfills their duties according to their role within the family—whether as a husband, wife, children, or other family members—while establishing the principle of cooperation, which is the foundation of a harmonious and stable family life.

Issue N: 26 – vol 1 / Issn:2958-8537

3. The relationship between individuals and their community is based on doing good for society, preserving its integrity and cohesion, achieving solidarity, and cooperation, and the reinforcement of the principle of mutual encouragement towards righteousness.

Keywords: Landmarks, Ethical Legislation, Meccan Quranic.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في كونه يقدم صورة واضحة وموجزة عن أبرز معالم التشريع الأخلاقي من خلال الآيات القرآنية التي نزلت في المرحلة المكية (ما قبل الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة) وهي التي تأسست فيها القيم الأخلاقية الإسلامية الأولى، وفي ضوئها استمر التشريع الأخلاقي لكل مراحل التشريع في شتى أنواع تعاملات الإنسان المسلم مع غيره المنبثقة عن هذا الدين القويم، التي لا شك أنها قائمة على الارتباط بعلاقته مع خالقه جل في علاه، ومنعكسة في تعاملاته مع أسرته ومجتمعه أيضا.

مشكلة الدراسة وفرضياته:

تكمن مشكلة الدراسة في الغموض الذي يكتنف معالم التشريع للأخلاق والقيم في عصر الرسالة وفي المرحلة الأولى منه وهي مرحلة التنزيل القرآني قبل الهجرة، إذ تعالج الدراسة تلك الإشكالية بمحاولة جادة في إبراز معالم التشريع الأخلاقي من خلال القرآن المكي، ويجيب عن السؤال القائل: ماهي معالم التشريع الأخلاقي المستنبطة من الآيات القرآنية التي نزلت في مكة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟

ويفترض أن تقدم الدراسة إجابة وافية تتمثل في إيضاح معالم ذلك التشريع من خلال بيان أخلاق الإنسان مع خالقه، ومع أسرته، ومع مجتمعه، بصورة تحليلية منهجية واضحة وبطريقة علمية موثقة.

المبحث الأول: أخلاق الإنسان مع ربه:

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الرضا.

المطلب الثاني: الشكر.

المطلب الثالث: الإخلاص.

وسوف نتناول هذه المطالب بالبحث والتفصيل كما يأتي:

تمهيد:

يدرك المسلم أهمية الخلق والسلوك السوي في علاقته بالناس من حوله وما يترتب على ذلك من احترام وتقدير وإنزال للناس منازلهم كما علمنا النبي صلى الله عليه وسلم، وإذا كان هذا مع البشر –ولله المثل الأعلى– فالمسلم يدرك أن تعامله مع الخالق الرازق المحيي المميت سبحانه، الذي تفضل عليه بنعمه التي لا تحصى، هو تعاملٌ لا بد أن يكون بقدر كبير من الرقي في السلوك والأخلاق وحسن الأدب، فهي أخلاق يدين بها الإنسان مع ربه في علاقته الخاصة.

ولأهمية الموضوع فإن الباحث سيتعرض له بشيء من التوضيح الموجز غير الممل، مع دعم ذلك بالشواهد القرآنية الكريمة، ومعانيها، وتأويلها كما ورد عند عدد من المفسرين، معتمداً في تصنيف هذه الأخلاق تصنيف الدكتور: محمد عبد الله دراز[1] – رحمه الله – في أطروحته القيمة "دستور الأخلاق في الإسلام"، وذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: الرضا:

الرضا في اللغة: ضدُّ السَّخَطِ. وَفِي حديث الدُّعاء: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمُعافاتك من عقوبتك، وأَعوذ بك منك لا أُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك» [2]

وأرضاهُ: أعطاه ما يُرضيه، واسترْضاهُ وتَرَضَّاهُ: طلب رِضاه، وتَراضَياهُ: وقع به التَّراضِي، واسْتَرْضاهُ: طلب إليه أن يُرْضِيَه. [3]

اصطلاحا: قال ابن عطاء الله الإسكندري[4]: الرضا سكون القلب إلى قديم اختيار الله للعبد أنه اختار له الأفضل. فيرضى به، وقيل: الرضا ارتفاع الجزع في أي حكم كان، وقيل: سكون القلب تحت مجاري الأحكام. [5] وكلها تدور حول التسليم لأمر الله تعالى وطيب النفس بذلك.

الرضا في القرآن الكريم:

ورد لفظ الرضا في آيات القرآن المكية في عدة مواضع أبرزها:

1- ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [سورة البينة: 8].

واختلف في قوله تعالى (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) هل هذا في الدنيا أو في الآخرة؟

ورضاهم عن الله في الدنيا هو الرضا بقضائه والرضا بدينه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً» [6]، وقيل: هو رضاهم بجميع ما قسم لهم من جميع الأرزاق والأقدار.

ورضاهم عنه في الآخرة: وهو رضاهم بما أعطاهم الله فيها، أو رضا الله عنهم، لما ورد في الحديث: «إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى؟ يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً». [7][8]

---

(1) محمد بن عبد الله دراز: فقيه متأدب مصري أزهري. كان من هيأة كبار العلماء بالأزهر، له كتب، منها (الدين) دراسة تمهيدية لتاريخ الإسلام، و(دستور الأخلاق في الإسلام) رسالة دكتوراه، توفي سنة 1377هـ/1958م.. انظر: الزركلي، الأعلام (246/6).

(2) رواه مسلم (352/1) برقم: 486.

(3) انظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط ص 1288.

(4) أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الشيخ العارف تاج الدين أبو الفضل الإسكندري، كان رجلا صالحا يتكلم على كرسي في الجامع بكلام حسن وله ذوق ومعرفة بكلام الصوفية وآثار السلف وكان تلميذا لأبي عباس المرسي صاحب الشاذلي وكان من كبار القائمين على الشيخ تقي الدين ابن تيمية، توفي بالمنصورية في القاهرة سنة 709هـ .. انظر: صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات (39/8).

(5) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين (2/ 173- 175).

(6) رواه مسلم (62/1) برقم: 34.

(7) رواه البخاري (114/8) برقم: 6549، ومسلم (2176/4) برقم: 2829 واللفظ له.

(8) انظر: ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز (502/2).

"هذا الرضا من الله وهو أعلى وأندى من كل نعيم، وهذا الرضا في نفوسهم عن ربهم الرضا عن قدره فيهم، والرضا عن إنعامه عليهم، والرضا بهذه الصلة بينه وبينهم، الرضا الذي يغمر النفس بالهدوء والطمأنينة والفرح الخالص العميق". (1)

2- ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [سورة مريم: 6] أي: "واجعل يا ربّ الولي الذي تهبه لي مرضياً ترضاه أنت ويرضاه عبادك ديناً وخُلُقاً وخَلْقاً"، (2) وقيل: "راضياً بقضائك وقدرك، وقيل: رجلاً صالحاً ترضى عنه، وقيل: نبياً كما جعلت آباءه أنبياء". (3)

وقال تعالى عن إسماعيل عليه السلام: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [سورة مريم: 55] "أي قائماً لله بطاعته وقيل رضيه لنبوته ورسالته وهذا نهاية في المدح لأن المرضي عند الله هو الفائز في كل طاعة بأعلى الدرجات". (4)

3- قال تعالى: ﴿يَأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ [سورة الفجر: 27- 28] والنفس المطمئنة وهي الساكنة الموقنة بالإيمان وتوحيد الله الواصلة إلى ثلج اليقين بحيث لا يخالطها شك ولا يعتريها ريب، يقول الحسن البصري(5): المطمئنة هي المؤمنة الموقنة. وقال مجاهد(6): الراضية بقضاء الله التي علمت أن ما أخطأها لم يكن ليصيبها، وأن ما أصابها لم يكن ليخطئها، وقيل: الآمنة المطمئنة، وقيل: غير ذلك، وكلها معان متقاربة. (7)

قال عبد الله بن عمرو(8) رضي الله عنهما: "إذا توفى العبد المؤمن أرسل الله إليه ملكين وأرسل إليه بتحفة من الجنة فيقال: اخرجي أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلى روح وريحان ورب عنك راض، فتخرج كأطيب ريح المسك وجد أحد من أنفه على ظهر الأرض". (9)

المطلب الثاني: الشكر:

لغة: "الشكر بالضم: عرفان الإحسان ونشره، ولا يكون إلا عن يد، ومن الله: المجازاة، والثناء الجميل، والشكور: الكثير الشكر"(10) وقيل: الشكر لا يكون إلا عن يد، والحمد يكون عن يد وعن غير يد، فهذا الفرق بينهما.

والشكر: مثل الحمد إلا أن الحمد أعم منه، فإنك تحمد الإنسان على صفاته الجميلة وعلى معروفه، ولا تشكره إلا على معروفه دون صفاته. (11)

---

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن (6/ 3953).

(2) الطبري، جامع البيان (18/ 147).

(3) الشوكاني، فتح القدير (3/ 381).

(4) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل (3/ 190).

(5) أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم، وجمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة. وأبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، ومولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة، ويقال إنه ولد على الرق، وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة عشر ومائة، رضي الله عنه، وكانت جنازته مشهودة .. انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (69/2).

(6) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي الفقيه مفسر أهل مكة المقرئ مولى عبد الله بن السائب القارئ ويقال: مولى قيس بن الحارث المخزومي قدم على سليمان بن عبد الملك، وعلى عمر بن عبد العزيز وشهد وفاته. توفي سنة: 104هـ وهو ابن ثلاث وثمانين سنة بمكة. انظر: ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق (90/24).

(7) انظر: الشوكاني، فتح القدير (5/ 625).

(8) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هشام استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الكتابة عنه في حال الغضب والرضا، فأذن له توفي سنة 63هـ .. انظر: أبي نعيم الأصبهاني، معرفة الصحابة (1720/3).

(9) الخازن، لباب التأويل (428/4).

(10) الفيروزأبادي، القاموس المحيط (419/1).

(11) انظر: ابن منظور، لسان العرب (423/4- 424).

Issue N: 26 – vol 1 / Issn:2958-8537

اصطلاحا: هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه، فالعبد يشكر الله، أي يثني عليه بذكر إحسانه الذي هو نعمة، والله يشكر العبد، أي يثني عليه بقبوله إحسانه الذي هو طاعته. وقيل الشكر العرفي هو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من السمع والبصر وغيرهما إلى ما خلق لأجله. (1)

الشكر في القرآن الكريم:

لقد كانت عناية القرآن المكي بهذا الخلق عظيمة كعظم مكانته بين الأخلاق، فقد ورد ذكره في آيات كثيرة منها:

1- الوصايا العظيمة للقمان(2) عليه السلام كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لقمان الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [سورة لقمان: 12] يقول ابن عاشور(3): "كان أول ما لُقنه لقمان من الحكمة هو الحكمة في نفسه بأن أمره الله بشكره على ما هو محفوف به من نعم الله التي منها نعمة الاصطفاء لإعطائه الحكمة وإعداده لذلك بقابليته لها، وهذا رأس الحكمة لتضمنه النظر في دلائل نفسه وحقيقته قبل النظر في حقائق الأشياء وقبل التصدي لإرشاد غيره، ويقول أيضاً وشكر الله من الحكمة، إذ الحكمة تدعو إلى معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه لقصد العمل بمقتضى العلم، فالحكيم يبث في الناس تلك الحقائق على حسب قابلياتهم بطريقة التشريع تارة والموعظة أخرى، مع حملهم على العمل بما علموه من ذلك، وذلك العمل من الشكر إذ الشكر قد عُرف بأنه صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من مواهب ونِعم فيما خلق لأجله؛ فكان شكر الله هو الأهم في الأعمال، فهو رأس الحكمة، التي هي تقديم العلم بالأنفع على العلم بما هو دونه".(4)

2- وصف الله-عز وجل- أنبيائه الكرام، الذين اصطفاهم من خلقه بالشكر فقال عن نوح عليه السلام ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً﴾ [سورة الإسراء: 3]، وقال تعالى مادحاً خليله إبراهيم -عليه السلام-: ﴿شَاكِراً لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة النحل: 121] وقال عن آل داوود عليه السلام ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سورة سبأ: 13] أي وقلنا لهم: اعملوا شكراً على ما أنعم به عليكم في الدين والدنيا، فآل داود عليه السلام كانوا قائمين بشكر الله – عز وجل- بالقول والفعل، فالآية تدل على أن الشكر يكون بالفعل كما يكون بالقول والنية.(5)

3- أثنى الله عز وجل على أهل الإيمان وهم أهل الشكر فجعل سعيهم مشكوراً قال سبحانه وتعالى :﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً﴾ [سورة الإسراء: 19].

---

(1) انظر: الجرجاني، التعريفات ص 128.

(2) لقمان الحكيم العبد الصالح، لم يكن نبيا، وكان عبدا أسود عظيم الشفتين، مشقق القدمين، قاضيا على بني إسرائيل رفعه الله وآتاه الحكمة، فرآه رجل كان يعرفه قبل ذلك، فقال له: ألست عبد بني فلان الذي كنت ترعى بالأمس؟ قال: بلى. قال: فما بلغ بك ما أرى؟ قال: قدر الله، وأداء الأمانة، وصدق الحديث، وتركي ما لا يعنيني .. انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (334/6).

(3) محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسته بها (1296-1393هـ = 1879- 1973م). عين (عام 1932م) شيخا للإسلام مالكيا. له مصنفات مطبوعة، من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، صدر منه عشرة أجزاء.. انظر: الزركلي، الأعلام (174/6).

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير (152/21).

(5) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (442/6).

وقد اشتُرِط "ثلاث شرائط في كون السعي مشكوراً: إرادة الآخرة بأن يعقد بها همه ويتجافى عن دار الغرور، والسعي فيما كلف من الفعل والترك، والإيمان الصحيح الثابت. وعن بعض المتقدّمين: من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله: إيمان ثابت، ونية صادقة، وعمل مصيب. وتلا هذه الآية". (1)

4- أهل الشكر هم المنتفعون من الآيات المبثوثة في هذا الكون: فقال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سورة لقمان: 31] وقال عز وجل: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سورة سبأ: 19]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سورة إبراهيم: 5].

والمعنى: "لكل صبار شكور يصبر على بلاء الله ويشكر نعماءه، فإذا سمع بما أنزل الله من البلاء على الأمم، أو أفاض عليهم من النعم، تنبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر". (2)

5- أنعم الله علينا بكثير النعم وذكر من حكمها الشكر فقال سبحانه: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ [سورة الزخرف: 12 -14] "ومعنى ذكر نعمة الله، أن يذكروها في قلوبهم، وذلك الذكر هو أن يعرف أن الله تعالى خلق وجه البحر، وخلق الرياح، وخلق جرم السفينة على وجه يتمكن الإنسان من تصريف هذه السفينة إلى أي جانب شاء وأراد، فإذا تذكروا أنَّ خَلْقَ البحر، وخلق الرياح، وخلق السفينة على هذه الوجوه القابلة لتصريفات الإنسان ولتحريكاته ليس من تدبير ذلك الإنسان، وإنما هو من تدبير الحكيم العليم القدير، عَرَف أن ذلك نعمة عظيمة من الله تعالى، فيحمله ذلك على الانقياد والطاعة له تعالى، وعلى الاشتغال بالشكر لنعمه التي لا نهاية لها".(3)

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة النحل: 78] "وخص هذه الأعضاء الثلاثة، لشرفها وفضلها ولأنها مفتاح لكل علم، فلا يصل للعبد علم إلا من أحد هذه الأبواب الثلاثة وإلا فسائر الأعضاء والقوى الظاهرة والباطنة هو الذي أعطاهم إياها، وجعل ينميها فيهم شيئاً فشيئاً إلى أن يصل كل أحد إلى الحالة اللائقة به، وذلك لأجل أن يشكروا الله، باستعمال ما أعطاهم من هذه الجوارح في طاعة الله، فمن استعملها في غير ذلك كانت حجة عليه وقابل النعمة بأقبح المقابلة".(4)

6- ذكر لنا الله تبارك وتعالى أن من الجزاء الحسن على الشكر الزيادة، وأنه سبب لنيل رضوانه فقال سبحانه: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [سورة الزمر: 7] وهذا ومما يدل على أهمية الشكر فإن الشكر من أهم الأسباب لحصول رضا الرب تبارك وتعالى، فالشكر يرضاه الله- عز وجل- لعباده لأن النفع حاصل لهم

(1) الزمخشري، الكشاف (656/2).
(2) الزمخشري، الكشاف (540/2).
(3) الرازي، مفاتح الغيب (621/27).
(4) السعدي، تيسير الكريم الرحمن ص445.

بالشكر، فقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ أي يرض الشكر لأجلكم ومنفعتكم لأنه سبب لفوزكم بسعادة الدارين لا لانتفاعه تعالى به، وإنما قيل لعباده لا لكم لتعميم الحكم وتعليله بكونهم عباده تعالى.(1)

وقال في آية أخرى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [سورة إبراهيم: 7] فكلما حصل منك الشكر على النعمة حصلت لك الزيادة فيها فالشكر سبب للزيادة.

المطلب الثالث: الإخلاص

الإخلاص لغة: تنقية الشيء وتهذيبه. يقولون: خلصته من كذا أي نقيته.(2)

اصطلاحاً: تخليص القلب عن شائبة الشوب المكدر لصفاته، وقيل: الإخلاص: سر بين العبد وبين الله تعالى لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوًى فيميله.(3)

الإخلاص في القرآن الكريم:

وردت في آيات القرآن الكريم المكية آيات كثيرة تدعوا إلى الإخلاص بطرق متعددة منها:

1- أمر الله به نبيه فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة الزمر: 11– 12] قال الزمخشري: قل إني أمرت بإخلاص الدين وأمرت بذلك لأجل أن أكون أول المسلمين أي مقدمهم وسابقهم في الدنيا والآخرة. والمعنى: أن الإخلاص له السابقة في الدين، فمن أخلص كان سابقاً.

ثم قال بعدها بآية ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ [سورة الزمر: 14] فإن قيل: "ما معنى التكرير في قوله ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ وقوله ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ قلت: ليس بتكرير، لأن الأول إخبار بأنه مأمور من جهة الله بإحداث العبادة والإخلاص. والثاني: إخبار بأنه يختص الله وحده دون غيره بعبادته مخلصاً له دينه، ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة وأخره في الأول فالكلام أولاً: واقع في الفعل نفسه وإيجاده، وثانياً: فيمن يفعل الفعل لأجله".(4)

2- أمر الله عباده المؤمنين بالإخلاص وبين أنه أساس العبادة فقال سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [سورة البينة: 5]. وما أمروا، يعني هؤلاء الكفار، إلا ليعبدوا الله يعني إلا أن يعبدوا الله مخلصين له الدين، قال ابن عباس(5): ما أمروا في التوراة والإنجيل إلا بإخلاص العبادة لله موحدين، حنفاء، مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، ويقيموا الصلاة، المكتوبة في أوقاتها، ويؤتوا الزكاة، عند محلها، وذلك، الذي أمروا به، دين القيمة: أي الملة والشريعة المستقيمة.(6)

(1) انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (244/7).

(2) انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة (208/2).

(3) انظر: الجرجاني، التعريفات (13/1 – 14).

(4) الزمخشري، الكشاف (117/4-118).

(5) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو العباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن خالة خالد بن الوليد. وكان يسمى البحر، لسعة علمه، ويسمى حبر الأمة، ولد والنبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته بالشعب من مكة، فأتي به النبي صلى الله عليه وسلم فحنكه بريقه، وتوفي سنة ثمان وستين بالطائف .. انظر: ابن الأثير، أسد الغابة (291/3).

(6) انظر: البغوي، إحياء التراث (290/5).

بل سمى الإخلاص دينا فقال سبحانه: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ [سورة النحل: 52] عن مجاهد ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾ قال: "الدين الإخلاص، وواصباً دائماً".(1)

3- بين في كتابه أن إخلاص الأعمال لله تعالى سبب لقبول الأعمال وزيادة في المطلوب: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [سورة الشورى: 30] أي "من كان يريد بعمله الآخرة، نزد له في حرثه، بالتضعيف بالواحد عشرة إلى ما شاء من الزيادة، ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا﴾ يريد بعمله الدنيا، نؤته منها، قال قتادة(2): أي نؤته بقدر ما قسم الله له، كما قال: ﴿عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ [سورة الإسراء: 18]. وما له في الآخرة من نصيب، لأنه لم يعمل للآخرة".(3)

4- دعانا الله تبارك وتعالى إلى الدعاء بإخلاص بعيداً عن الرياء مبيناً أن هذا هو سبب النجاة فقال سبحانه: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة غافر: 14] أي: "فادعوا الله وحده مخلصين له العبادة التي أمركم بها ولو كره الكافرون ذلك، فلا تلتفتوا إلى كراهتهم، ودعوهم يموتوا بغيظهم ويهلكوا بحسرتهم".(4)

وقال تعالى ﴿هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة غافر: 65] وقال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [سورة العنكبوت: 65] وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَاجَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ سورة يونس: 22] أي أخلصوا في الدعاء لله ولم يدعوا أحداً سوى الله، وقالوا: لئن أنجيتنا، يا ربنا، من هذه، الريح العاصف، لنكونن من الشاكرين، لك بالإيمان والطاعة(5)﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي: "نسوا تلك الشدة وذلك الدعاء، وما ألزموه أنفسهم.(6)

المبحث الثاني: أخلاق الإنسان مع أسرته:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الرحمة:

الرحمة لغة: "الرقة والعطف والرأفة يقال من ذلك رحمه يرحمه، إذا رق له وتعطف عليه. والرَّحِم والمرحمة والرحمة بمعنى. والرَّحِم: علاقة القرابة، ثم سميت رحم الأنثى رحما من هذا".(7)

(1) انظر: الشوكاني، فتح القدير (206/3).

(2) أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن عزيز بن عمرو بن ربيعة بن عمرو بن الحارث ابن سدوس، السدوسي البصري الأكمه، كان تابعيا وعالما كبيرا، قال أبو عبيدة: ما كنا نفقد في كل يوم راكبا من ناحية بني أمية ينيخ على باب قتادة فيسأله عن خبر أو نسب أو شعر، وكان قتادة أجمع الناس. وكانت ولادته سنة 60هـ، وتوفي سنة 118هـ بواسط.. انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (85/4) الذهبي، سير أعلام النبلاء (270/5).

(3) البغوي، إحياء التراث (142/4).

(4) الشوكاني، فتح القدير (556/4).

(5) البغوي، إحياء التراث (415/2).

(6) السعدي، تيسير الكريم الرحمن ص361.

(7) ابن فارس، مقاييس اللغة (498/2).

اصطلاحا: هي "إرادة إيصال الخير".[1] وقال الجاحظ[2]: "الرّحمة خلق مركّب من الودّ والجزع، والرّحمة لا تكون إلّا لمن تظهر منه لراحمه خلّةٌ مكروهة، فالرّحمة هي محبّة للمرحوم مع جزع من الحال الّتي من أجلها رُحِم".[3]

الرحمة في القرآن الكريم:

1- من أعظم أسماء الله وصفاته الرحمن الرحيم وهي التي يُبتدأ بها في كل سورة من القرآن وفي كل أمر ذي شأن، وقد حدثنا الله تبارك وتعالى عن رحمته فقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [سورة الأنعام: 133]، ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [سورة الكهف: 58] ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة الزمر: 53] ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [سورة الأعراف: 156] ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [سورة الأنعام: 12] وقال تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [سورة الأنعام: 147] أي فإن كذبك يا محمد هؤلاء، فقل ربكم ذو رحمة بنا، وبمن كان به مؤمنًا من عباده، ويغيرهم من خلقه فرحمته "واسعة"، تسع جميع خلقه، المحسنَ والمسيء، لا يعاجل من كفر به بالعقوبة، ولا من عصاه بالنّقمة، ولا يدع كرامة من آمن به وأطاعه، ولا يحرمه ثواب عمله، رحمة منه بكلا الفريقين، ولكن بأسه وذلك سطوته وعذابه لا يردّه إذا أحله عند غضبه على المجرمين عنهم شيء.[4]

2- وصف كتابه القرآن وكتبه السابقة بالرحمة فقال تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأنعام: 154] ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [سورة الأعراف: 154].

وقال في وصف القرآن الكريم: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأعراف: 57] ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلا خَسَارًا﴾ [سورة الإسراء: 82] ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة العنكبوت: 51] ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة النحل: 89] قال الطاهر ابن عاشور: "وخص بالذكر الهدى والرحمة والبشرى لأهميتها فالهدى ما يرجع من التبيان إلى تقويم العقائد والأفهام والإنقاذ من الضلال. والرحمة ما يرجع منه إلى سعادة الحياتين الدنيا والأخرى، والبشرى ما فيه من الوعد بالحسنيين الدنيوية والأخروية".[5]

3- وصف تبارك وتعالى خير البشرية صلى الله عليه وسلم بالرحمة فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: 107] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان محمد صلى الله عليه وسلم رحمة لجميع الناس فمن آمن به وصدق به سعد، ومن لم يؤمن به سلم مما لحق الأمم من الخسف والغرق".[6]

(1) الجرجاني، التعريفات ص110.

(2) أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني المعروف بالجاحظ، البصري صاحب التصانيف في كل فن وإليه تنتسب الفرقة المعروفة بالجاحظية من المعتزلة، وكان تلميذ النظام المتكلم المشهور، ومن أحسن تصانيفه وأمتعها كتاب "الحيوان"، وكانت وفاته 255هـ بالبصرة. انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (470/3).

(3) عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن حميد، نضرة النعيم (2062/6).

(4) انظر: الطبري، جامع البيان (207/12).

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير (254/14).

(6) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (350/11).

وقد كانت سيرته وحياته كلها مليئة بالرحمة على المؤمن والكافر والبر والفاجر والصغير والكبير والذكر والأنثى.. بل حتى على الحيوان والجماد.

4- أمر عباده بالسعي لنيل رحمته: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلا الضَّالُّونَ﴾[1] ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (1) [سورة الحجر: 56].

وإذا نظرنا دعاء الأنبياء في القرآن لوجدنا أن الدعاء بالرحمة قاسم مشترك بينهم جميعاً، فمن دعاء آدم عليه الصلاة والسلام (ومعه زوجته حواء): ﴿قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة الأعراف: 23] ودعاء نوح عليه السلام: ﴿وَإِلا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة هود: 47] ودعاء موسى عليه السلام: ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [سورة الأعراف: 155]، وكان من دعاء الملائكة للمؤمنين أيضا: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [سورة غافر: 7].

5- أثنى الله تبارك وتعالى على من يتصف بالرحمة ويتواصى بها وبالصبر فقال سبحانه: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [سورة البلد: 17] والتواصي بالرحمة فضيلة عظيمة، وهو أيضا كناية عن اتصافهم بالمرحمة لأن من يوصِي بالمرحمة هو الذي عرف قدرها وفضلها، فهو يفعلها قبل أن يوصِي بها.[2] وفي الحديث: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[3] وفي الحديث الآخر: «لا يرحم الله من لا يرحم الناس».[4]

وخص بالمدح أيضا التراحم بين الأسرة ابتداءً من الوالدين إلى العلاقة بين الزوجين إلى الرحمة بالأولاد فقال تعالى عن الرحمة بالوالدين خصوصاً عند الكبر: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [سورة الإسراء: 24].

وقال تعالى عن الرحمة في العلاقات الزوجية ومع الأولاد: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [سورة النحل: 72] وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الروم: 21].

ونهى عن قتل الأولاد والإضرار بهم أو النظر إليهم كسبب للفقر والفاقة فقال سبحانه: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [سورة الأنعام: 151] ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيرًا﴾ [سورة الإسراء: 31] قال ابن كثير: "هذه الآية الكريمة دالة على أن الله تعالى أرحم بعباده من الوالد بولده؛ لأنه ينهى تعالى عن قتل الأولاد، كما أوصى بالأولاد في الميراث، وكان أهل الجاهلية لا يورثون البنات، بل كان أحدهم ربما قتل ابنته لئلا تكثر عيلته، فنهى الله تعالى عن ذلك".[5]

---

(2) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (361/30).

(3) رواه الترمذي (323/4) برقم: 1924، وقال حسن صحيح، قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (549/2) رقم: 2255: حسن لغيره.

(4) رواه البخاري (115/9) برقم: 7376.

(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (72/5).

Issue N: 26 – vol 1 / Issn:2958-8537

المطلب الثاني: الإحسان للوالدين ولذوي القربى:

الإحسان لغة: "ضدّ الإساءة، ورجل مُحسن ومِحسان، الأخيرة عن سيبويه".[1][2] وهو "فعل ما ينبغي أن يفعل من الخير".[3]

اصطلاحا: الإحسان نوعان:

– إحسان في عبادة الخالق: بأن يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإن الله يراه. وهو الجد في القيام بحقوق الله على وجه النصح، والتكميل لها.

– وإحسان في حقوق الخلق وهو بذل جميع المنافع من أي نوع كان، لأي مخلوق يكون، ولكنه يتفاوت بتفاوت المحسن إليهم، وحقهم ومقامهم، وبحسب الإحسان، وعظم موقعه، وعظيم نفعه، وبحسب إيمان المحسن وإخلاصه، والسبب الداعي له إلى ذلك.[4]

الفرق بين العدل والإحسان:

"الإحسان فوق العدل؛ وذلك لأن العدل: هو أن يعطي ما عليه ويأخذ ماله، والإحسان: أن يعطي أكثر مما عليه، ويأخذ أقل مما له. فالإحسان زائد عليه. فتحري العدل الواجب وتحري الإحسان ندب وتطوع".[5]

الفرق بين الرحمة والإحسان:

"والرحمة والإحسان متغايران، ولا يلزم من وجود أحدهما وجود الآخر، لأن الرحمة قد توجد وافرة في حق من لا يتمكن من الإحسان كالوالدة العاجزة ونحوها، وقد يوجد الإحسان ممن لا رحمة له في طبعه كالملك القاسي فإنه قد يحسن إلى بعض أعدائه لمصلحة ملكه".[6]

الإحسان في القرآن الكريم:

1– أمر الله تبارك وتعالى بالإحسان إلى الأسرة وخصوصاً الوالدين فهما أهل الفضل الأكبر بعد الله تبارك وتعالى فقال جل شأنه: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [سورة لقمان: 14] ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة الأحقاف: 15].

(1) إمام النحو، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي، ثم البصري، وقد طلب الفقه والحديث مدة، ثم أقبل على العربية، فبرع وساد أهل العصر، وألف فيها كتابه الكبير الذي لا يدرك شأوه فيه؛ عاش اثنتين وثلاثين سنة. وقيل: نحو الأربعين. ومات سنة ثمانين ومائة.. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (346/7).

(2) ابن منظور، لسان العرب (117/13).

(3) الجرجاني، التعريفات ص12.

(4) انظر: عبدالرحمن آل سعدي، بهجة قلوب الأبرار ص141–142.

(5) سعدي أبو حبيب، القاموس الفقهي ص89.

(6) أبو البقاء الحنفي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ص667.

وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [سورة الأنعام: 151] "والإحسان إلى الوالدين برهما وحفظهما وصيانتهما وامتثال أمرهما وإزالة الرق عنهما وترك السلطنة عليهما".(1)

وقال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [سورة الإسراء: 23- 24]

ووصف تبارك وتعالى نبيه يحيى بقوله: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [سورة مريم: 14] وقال على لسان عيسى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [سورة مريم: 32].

2- أمر الله تعالى بالإحسان للأقارب فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ [سورة النحل: 90] والإحسان هو التفضل بما لم يجب كصدقة التطوع، ومن الإحسان فعل ما يثاب عليه العبد مما لم يوجبه الله عليه في العبادات وغيرها، ﴿وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ أي: إعطاء القرابة ما تدعو إليه حاجتهم، وفي الآية إرشاد إلى صلة الأقارب وترغيب في التصدق عليهم، وإنما خص ذوي القربى لأن حقهم آكد، فإن الرحم قد اشتق الله اسمها من اسمه، وجعل صلتها من صلته وقطيعتها من قطيعته.(2)

ثم نهى الله سبحانه عن قتل الأولاد خشية الفقر، وقد كانوا يفعلون ذلك ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيرًا﴾ [سورة الإسراء: 31] فبين لهم "أن خوفهم من الفقر حتى يبلغوا بسبب ذلك إلى قتل الأولاد لا وجه له، فإن الله سبحانه هو الرازق لعباده، يرزق الأبناء كما يرزق الآباء فقال نحن نرزقهم وإياكم ولستم لهم برازقين حتى تصنعوا بهم هذا الصنع، وقد مر مثل هذه الآية في الأنعام، ثم علل سبحانه النهي عن قتل الأولاد لذلك بقوله: ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيرًا﴾".(3)

المبحث الثالث: أخلاق الإنسان مع مجتمعه.

وفيه ثلاثة مطالب:

من شمول التربية القرآنية أنها تسعى لتقوية الترابط بين أفراد المجتمع، فالإنسان بطبيعته اجتماعي يألف ويؤلف، ويحتاج للآخرين ويحتاج له الآخرون، فالحياة بطبيعتها لا تقوم إلا بالتكامل بين أفراد المجتمع، ومن هنا كان توجيه القرآن بالاهتمام بأفراد المجتمع المحيط بالإنسان وتقديرهم وإعطائهم حقوقهم والإحسان إليهم على اختلاف درجاتهم ومستوياتهم، وإثبات الحقوق لهم، وإزالة كل الفروق البشرية بينهم، والتعامل معهم بمستوى عال من الصدق والأمانة والوفاء والقسط والإكرام..

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (132/7).
(2) انظر: الشوكاني، فتح القدير (225/3).
(3) الشوكاني، فتح القدير (265/3).

المطلب الأول: الأمانة:

الأمانة لغة: "الأَمانُ والأَمانةُ بمعنى، وقد أَمِنْتُ فأَنا أَمِنٌ، وآمَنْتُ غيري من الأَمْن والأَمان، والأَمْنُ: ضدُّ الخوف، والأَمانةُ ضدُّ الخِيانة".(1)

اصطلاحا: "هي كل حق لزمك أداؤه وحفظه".(2) وقيل: "هي كل ما افترض على العباد فهو أمانة كصلاة وزكاة وصيام وأداء دين".(3)

الأمانة في القرآن الكريم:

1- الأمانة من أهم صفات الأنبياء وقد ورد ذكر الأمانة في القرآن بالنسبة إلى ستة من الأنبياء الكبار خمسة منهم في سورة الشعراء (نوح–هود–صالح–لوط–شعيب) عليهم السلام وموسى عليه السلام في سورة الدخان بعبارة :﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [سورة الشعراء: 107-125-143-162 -178، وسورة الدخان: 18] أي: "إني لكم رسول من الله أمين فيما أبلغكم عنه، وقيل: أمين فيما بينكم، فإنهم كانوا قد عرفوا أمانته وصدقه"(4) وهذا يدلّ دلالة واضحة على أهميّة الأمانة في مهمّة إبلاغ الرسالة، إذ بدونها تفقد الثقة بينهم وبين الناس، فكيف سيعتمدوا على أقوالهم.

2- الأمانة من أوصاف المؤمن الأساسية وقد ذكرت بنفس اللفظ في سورتي (المؤمنون – المعارج) في سياق ذكر صفات المؤمنين الناجين المفلحين في سورة المؤمنون، وفي ذكر أوصاف المصلين البعيدين عن شدة الهلع وقوة الجزع في سورة المعارج، والملفت للنظر أن الأمانة الواردة في هذه الآية ذكرت بصورة الجمع ﴿لِأَمَانَاتِهِمْ﴾ وهي إشارة إلى أنّ الأمانة لها أنواع وأشكال مختلفة فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [سورة المؤمنون: 8، وسورة المعارج: 32]

ولا شك أن النفس البشرية تميل بالفطرة إلى التعامل مع الأمين الصادق، حتى أن غير المسلمين يؤثرون الأمين ويثقون فيه، فقد جاء في قصة أهل نجران(5) لما وافقوا على دفع الجزية فقالوا: إنا نعطيك ما سألتنا، وابعث معنا رجلاً أميناً، ولا تبعث معنا إلا أميناً. فقال «لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين»، فاستشرف له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «قم يا أبا عبيدة بن الجراح»(6) فلما قام، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا أمين هذه الأمة».(7)

3- وردت الأمانة في القرآن الكريم بمعنى العفة على لسان ابنتي شعيب عليه السلام: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [سورة القصص: 26] أي: القوي في بدنه، الأمين في عفافه، وصفته بأفضل صفات الأجير، القوة في القيام بالأمر والأمانة في حفظ الشيء، ومصدر هاتين الصفتين ما شاهدت من حاله، حيث قال لها أبوها: ما يدريك

(1) ابن منظور، لسان العرب (21/13).

(2) عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير (1/ 223).

(3) أبو البقاء الحنفي، الكليات ص187.

(4) الشوكاني، فتح القدير (126/4).

(5) من مخاليف اليمن من ناحية مكة، بناها نجران بن زيدان بن سبا بن يشجب كان بها كعبة نجران، بناها عبد المدان بن الريان الحرثي مضاهاة للكعبة، وعظموها وسموها كعبة نجران، وكان بها أساقفة مقيمون، وهم الذين جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم للمباهلة. وبها كانت حادثة أصحاب الأخدود.. انظر: زكريا القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد (126/1).

(6) عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال، هاجر إلى الحبشة ثم قدم مكة حتى هاجر منها إلى المدينة، شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقصد أباه فقتله مشركا، وبعثه رسول الله أمينا ووالیا إلى أهل نجران، فقال: «لأبعثن إليكم رجلا أمينا حق أمين» حضر السقيفة مع الصديق والفاروق، وكان أحد أمراء الأجناد بالشام، توفي في طاعون عمواس سنة 18هـ، بالأردن وهو ابن ثمان وخمسين.. انظر: أبي نعيم، معرفة الصحابة (148/1).

(7) رواه البخاري (171/5) برقم: 4380.

ما قوته؟ وما أمانته؟ فقالت: أما قوته، فما رأيت منه في الدلو حين سقى لنا، لم أر رجلاً قط أقوى في ذلك السقي منه، وأما الأمانة فإنه نظر إليّ حين أقبلت إليه وشخصت له، فلما علم أني امرأة صوب رأسه فلم يرفعه، حتى بلغته رسالتك. ثم قال لي: امش خلفي، وانعتي لي الطريق. فلم يفعل هذا إلا وهو أمين. وبذلك تكون قد استدلت بفراستها على قوته وأمانته.(1)

المطلب الثاني: الوفاء:

الوفاء لغة: "ضد الغدر، يقال: (وَفَى) بعهده (وفاء) و(أوفى) بمعنى. و(أوفاه) حقه و(وَفَّاهُ تَوْفِيَةً) بمعنى، أي أعطاه (وافيا). (واستوفى) حقه و(توفاه) بمعنى. وتوفاه الله أي قبض روحه".(2)

اصطلاحا: هو "ملازمة طريق المواساة ومحافظة عهود الخلطاء".(3) وقال الغزالي: هو "الثبات على الحب وإدامته إلى الموت معه وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه".(4)

الوفاء في القرآن الكريم:

1- الوفاء صفة من صفات الأنبياء، مدح بها تعالى أنبيائه فقال عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [سورة النجم: 37] أي: "تمم وأكمل ما أمر به. قال المفسرون: أي: بلغ قومه ما أمر به وأداه إليهم، وقيل: بالغ في الوفاء بما عاهد الله عليه".(5) وقال عن إسماعيل: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولا نَبِيًّا﴾ [سورة مريم: 54] فخصه الله تعالى بصدق الوعد وإن كان موجوداً في غيره من الأنبياء تشريفاً له وإكراماً، وصدق الوعد محمود وهو من خلق النبيين والمرسلين، وضده وهو الخلف مذموم، وذلك من أخلاق الفاسقين والمنافقين.

3- أمر الله تعالى بالوفاء بالعهد فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الأنعام: 152] ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولا﴾ [سورة الإسراء: 34] أي: "وأوفوا بالعقد الذي تعاقدون الناس في الصلح بين أهل الحرب والإسلام، وفيما بينكم أيضاً، والبيوع والأشرية والإجارات، وغير ذلك من العقود ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولا﴾ يقول: إن الله جلّ ثناؤه سائل ناقض العهد عن نقضه إياه، يقول: فلا تنقضوا العهود الجائزة بينكم، وبين من عاهدتموه أيها الناس فتخفروه، وتغدروا بمن أعطيتموه ذلك. وإنما عنى بذلك أن العهد كان مطلوباً، يقال في الكلام: ليسئلنّ فلان عهد فلان".(6)

4- ذم الله تعالى أقواماً بخلف العهد فقال سبحانه: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ [سورة الأعراف: 102] أي: "ما وجدنا لأكثر أهل هذه القرى من عهد، أي: عهد يحافظون عليه ويتمسكون به، بل دأبهم نقض العهود في كل حال".(7)

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (288/5).
(2) انظر: زين الدين الرازي، مختار الصحاح ص343.
(3) التعريفات، الجرجاني ص253.
(4) الغزالي، إحياء علوم الدين (187/2) وقد ذكر الإمام الغزالي هذا التعريف في سياق الحديث عن الوفاء للناس.
(5) الشوكاني، فتح القدير (137/5).
(6) الطبري، جامع البيان (444/17).
(7) الشوكاني، فتح القدير (261/2).

Issue N: 26 – vol 1 / Issn:2958-8537

المطلب الثالث: العدل:

العدل لغة: ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو ضد الجور. عدل الحاكم في الحكم يعدل عدلاً وهو عادل من قوم عُدُولٍ وعَدْلٍ؛ والعدل: الحكم بالحق، والعدل من الناس: المرضي قوله وحكمه. وفي أسماء الله سبحانه: العدل، هو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم.(1)

اصطلاحا: عبارة عن الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط وقيل: العدل، مصدر بمعنى: العدالة، وهو الاعتدال والاستقامة، وهو الميل إلى الحق.(2)

العدل في القرآن الكريم:

1- العدل من أسماء الله الحسنى أمر به أنبيائه ورسله فقال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [سورة الأعراف: 29] أي: "أمر بالعدل وهو هنا العدل بمعناه الأعم، أي الفعل الذي هو وسط بين الإفراط والتفريط في الأشياء، وهو الفضيلة من كل فعل، فالله أمر بالفضائل وبما تشهد العقول السليمة أنه صلاح محض وأنه حسن مستقيم".(3)

2- أمر خاتم الأنبياء والمرسلين بالعدل وأن يعلن لأهل الكتاب ذلك إذا احتكموا إليه: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [سورة الشورى: 15] "أي في أحكام الله إذا ترافعتم إلي، ولا أحيف عليكم بزيادة على ما شرعه الله، أو بنقصان منه، وأبلغ إليكم ما أمرني الله بتبليغه كما هو، والمعنى: أمرت لأعدل بينكم في كل شيء".(4)

3- وصف الله تعالى عباده المؤمنين من الأمم السابقة بالعدل فقال تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [سورة الأعراف: 159] ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [سورة الأعراف: 181].

4- وصف الله أمره ونهيه وكتابه أنه تمام للعدل فقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلا لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة الأنعام: 115] "قرأ أهل الكوفة ويعقوب (كلمة) على التوحيد، وقرأ الآخرون (كلمات) بالجمع، وأراد بالكلمات أمره ونهيه ووعده ووعيده، صدقاً وعدلاً، أي: صدقاً في الوعد والوعيد، وعدلاً في الأمر والنهي، قال قتادة ومقاتل: صادقاً فيما وعد وعدلاً فيما حكم. لا مبدل لكلماته، قال ابن عباس: لا راد لقضائه ولا مغير لحكمه ولا خلف لوعده، وهو السميع العليم، وقيل: المراد بالكلمات القرآن لا مبدل له، لا يزيد فيه المفترون ولا ينقصون".(5)

5- أمر الله تبارك وتعالى بالعدل في كل الأمور وخص منها الميزان لأهمية التعامل به فكان من دعوة شعيب عليه السلام لقومه كما أخبر الله: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [سورة هود: 86] وقال أيضا: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [سورة الشعراء: 181-182].

(1) انظر: ابن منظور، لسان العرب (430/11).
(2) انظر: الجرجاني، التعريفات ص147.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير (86/8).
(4) الشوكاني، فتح القدير (608/4).
(5) البغوي، إحياء التراث (154/2).

Issue N: 26 – vol 1 / Issn:2958-8537

خاتمة الدراسة:

أولا: النتائج:

من خلال ما سبق خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1- الأخلاق التي شرعها الله تعالى في كتابه الكريم لعباده هي تلك التي يرتقي بها الإنسان وتسمو بها مكانته في الدنيا والآخرة.

2- جاء التشريع القرآني للأخلاق في السور المكية مؤكداً على أصول الأخلاق المتصلة بما ينبغي على المسلم أن يتحلى به مع ربه سبحانه وتعالى، كالرضا وعدم السخط بما قسم الله للعبد وبما قدر عليه، فمن رضي فله الرضا، ولا ينبغي له إلا الرضى عن خالقه جل في علاه، وما يجب أن يتحلى به من أخلاق تجاه أسرته الذي هو أحد مكوناتها، ومجتمعه الذي يعيش فيه.

3- يعد الشكر بكل صوره أهم عبادة سلوكية يقدمها الإنسان تجاه خالقه، لأنه أسدى إليه من النعم مالا يعد ولا يحصى، فالشكر الدائم المتمثل في القول والعمل، يعد برهانا من براهين التصديق بالله والإيمان به والاعتراف بنعمه الظاهرة والباطنة التي تحف هذا الإنسان من كل اتجاه وتغمره في كل لحظة.

4- الإخلاص ركن لازم في كل تصرف تعبدي سلوكي أم غير سلوكي، وهو يجسد العلاقة الصادقة بالله سبحانه وتعالى كما أنه يبعث على إتقان الأعمال وسلامة النية وخلوصها من الرياء والسمعة.

5- منهج التعامل الأخلاقي مع الأسرة في الإسلام منهج واضح المعالم، بين الأهداف، يهدف إلى بناء الأسرة بناء محكما مغمورا بالرعاية الربانية، الغاية منه تعميق الروابط الإيمانية فيما بين أفرادها بمختلف مواقعهم فيها.

6- لا استقرار لحياة أي مجتمع إن لم تكن الروابط الأخلاقية هي التي تسود فيه وتحكمه، وذلك ما أوضحه التشريع الأخلاقي في القرآن الكريم، إذ أسس للتعاون الذي يعد أصلا من أصول الحياة في المجتمع، وكذلك التعايش والتكافل، وغيرها من القيم السلوكية المجتمعية التي تجعل من المجتمع الذي يستمسك بها ويطبقها مجتمعاً حضارياً ينعم بالرفاهية والسعادة.

ثانيا: التوصيات:

واعتمادا على النتائج السابقة يوصي الباحث بالآتي:

1- استمرار البحث في الدراسات القرآنية المتصلة بالقيم والسلوكيات والأخلاق التي أسسها منهج القرآن الكريم في المرحلة الأولى من عمر الرسالة المحمدية، لما في ذلك من أهمية تتمثل في ضرورة البناء عليها عند دعوة المجتمعات إلى المثل الإسلامية والأخلاق القرآنية.

2- تدريس الأخلاق الإسلامية في المناهج الدراسية وفق المنهج القرآني الذي يؤكد على أن صلاح الأخلاق لدى الفرد أو المجتمع قائم على حسن العلاقة مع الخالق سبحانه وتعالى ومعالمها المتمثلة في الرضا والشكر والإخلاص له جل وعلا.

3- يوصي الباحث المتخصصين في علم الاجتماع دراسة الأخلاق التي دعا إليها القرآن الكريم وأوضح معالمها من خلال بيان علاقة الفرد بمجتمعه الإنساني، لاسيما الآيات القرآنية التي نزلت في المرحلة المكية؛ نظراً لدعوتها إلى هدم قيم الجاهلية القريبة منه –حينها– وتأسيس الأخلاق الأساسية الإسلامية بديلاً عنها.

4- يوصي الباحث العاملين في حقل التربية والتعليم لاسيما من يعمل في التدريس أن يفيد من هذه الدراسة وغيرها مما يدور في ذات الموضوع لترسيخ الأخلاق التي بدأ القرآن الكريم بالدعوة إليها في المرحلة الأولى (المرحلة المكية) من الدعوة إلى الإسلام أخذا بسنة التدرج في توريث السلوكيات لدى المتعلمين، ونظراً لأولويتها في التعليم قبل غيرها باعتبارها الأخلاق الأساسية.

المراجع:

1- القرآن الكريم.

2- البخاري، محمد بن إسماعيل. (1422هـ). صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى.

3- مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

4- الترمذي، محمد بن عيسى. (1395هـ/1975م). سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر; و محمد فؤاد عبد الباقي; و إبراهيم عطوة عوض، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي– مصر– الطبعة الثانية.

5- الألباني، محمد ناصر الدين. (1421هـ/2000م). صحيح التَّرْغيب وَالتَّرْهِيب، مكتَبة المعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض– الطبعة الأولى.

6- المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين. (1356هـ). فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى –مصر– الطبعة الأولى.

7- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. (1964م). الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني; و إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة.

8- الزمخشري، جار الله. (1407هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي – بيروت– الطبعة الثالثة.

9- الطبري، محمد بن جرير. (2000م). جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة.

10- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. (1419هـ). تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية –بيروت.

11- الخازن، أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد. (1415هـ). لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت– الطبعة الأولى.

12- البغوي، أبو محمد الحسين. (1420هـ). تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت.

13- ابن عاشور، محمد الطاهر. (1984م). التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر– تونس.

14- الرازي، فخر الدين. (1420هـ). مفاتح الغيب، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

15- الشوكاني، محمد بن علي. (1414هـ). فتح القدير، دار ابن كثير – دمشق.

16- أبو السعود، محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

17- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. (2000م). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة.

18- سيد قطب. (1412هـ). في ظلال القرآن، دار الشروق – بيروت.

19- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. إحياء علوم الدين، دار المعرفة –بيروت.

20- ابن منظور، جمال الدين. (1402هـ/1984م). مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق: روحية النحاس; و رياض عبد الحميد مراد; و محمد مطيع، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر –دمشق- الطبعة الأولى.

21- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. (1416هـ/1996م). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد البغدادي، دار الكتاب العربي –بيروت– الطبعة الثالثة.

22- التويجري، محمد بن إبراهيم. موسوعة فقه القلوب، بيت الأفكار الدولية.

23- سعدي أبو حبيب. (1408هـ). القاموس الفقهي، دار الفكر – دمشق.

24- ابن خلكان، أحمد بن محمد. (1900م). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت.

25- الذهبي، شمس الدين محمد. (1985م). سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة.

26- ابن فارس، أحمد. (1979م). مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.

27- آل سعدي، عبد الرحمن. (2002م). بهجة قلوب الأبرار، تحقيق: عبد الكريم آل الدريني، مكتبة الرشد.

28- أبو البقاء الحنفي، أيوب بن موسى. (1419هـ). الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، مؤسسة الرسالة – بيروت.

29- ابن منظور، جمال الدين. (1414هـ). لسان العرب، دار صادر –بيروت.

30- الفيروزآبادي، مجد الدين. (1426هـ). القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة- بيروت.

31- الصفدي، صلاح الدين. (1420هـ/2000م). الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط; وتركي مصطفى، دار إحياء التراث –بيروت.

32- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن. (1995م). تاريخ دمشق، (المتوفى: 571هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة، طبعة دار الفكر.

33- القزويني، زكريا. آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر –بيروت.

34- الرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر. (1999م). مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – بيروت.

35- الجرجاني، علي بن محمد. (1983م). التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية – بيروت.

36- أبي نعيم الأصبهاني. (1998م). معرفة الصحابة، تحقيق: عادل العزازي، دار الوطن –الرياض.

37- عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن حميد، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، الطبعة الرابعة، دار الوسيلة- جدة.

المراجع بطريقة الرومنة:

1-al-Qur'ān al-Karīm.
2-al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismā'īl. (1422H). Ṣaḥīḥ al-Bukhārī (al-Jāmi' al-Musnad al-ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar min umūr Rasūl Allāh ṣallá Allāh 'alayhi wa-sallam wsnnh wa-ayyāmuh), taḥqīq : Muḥammad Zuhayr al-Nāṣir, Dār Ṭawq al-najāh, al-Ṭab'ah al-ūlá.
3-Muslim ibn al-Ḥajjāj, Ṣaḥīḥ Muslim (al-Musnad al-ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar bi-naql al-'Adl 'an al-'Adl ilá Rasūl Allāh ṣallá Allāh 'alayhi wa-sallam), taḥqīq : Muḥammad Fu'ād 'Abd al-Bāqī, Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī – Bayrūt.
4-al-Tirmidhī, Muḥammad ibn 'Īsá. (1395h / 1975m). Sunan al-Tirmidhī, taḥqīq wa-ta'līq : Aḥmad Muḥammad Shākir ; wa Muḥammad Fu'ād 'Abd al-Bāqī ; wa Ibrāhīm 'Aṭwah 'Awaḍ, Maktabat wa-Maṭba'at Muṣṭafá al-Bābī al-Ḥalabī – mṣr-al-Ṭab'ah al-thāniyah.
5-al-Albānī, Muḥammad Nāṣir al-Dīn. (1421h / 2000M). Ṣaḥīḥ alttarghyb wālttarhīb, mktabh alma'ārf lilnashri wāltwzy', alryāḍ-al-Ṭab'ah al-ūlá.
6-al-Munāwī, 'Abd al-Ra'ūf ibn Tāj al-'ārifīn. (1356h). Fayḍ al-qadīr sharḥ al-Jāmi' al-Ṣaghīr, al-Maktabah al-Tijārīyah al-Kubrá – mṣr-al-Ṭab'ah al-ūlá.
7-al-Qurṭubī, Abū 'Abd Allāh Muḥammad ibn Aḥmad. (1964m). al-Jāmi' li-aḥkām al-Qur'ān, taḥqīq : Aḥmad al-Baraddūnī ; wa Ibrāhīm Aṭṭafayyish, Dār al-Kutub al-Miṣrīyah – al-Qāhirah.
8-al-Zamakhsharī, Jār Allāh. (1407h). al-Kashshāf 'an ḥaqā'iq ghawāmiḍ al-tanzīl, Dār al-Kitāb al-'Arabī – byrwt-al-Ṭab'ah al-thālithah.
9-al-Ṭabarī, Muḥammad ibn Jarīr. (2000M). Jāmi' al-Bayān fī Ta'wīl āy al-Qur'ān, taḥqīq : Aḥmad Shākir, Mu'assasat al-Risālah.
10-Ibn Kathīr, Abū al-Fidā' Ismā'īl. (1419H). tafsīr al-Qur'ān al-'Aẓīm, taḥqīq : Muḥammad Ḥusayn Shams al-Dīn, Dār al-Kutub al-'Ilmīyah – Bayrūt.

11-al-Khāzin, Abū al-Ḥasan ‘Alā’ al-Dīn ‘Alī ibn Muḥammad. (1415h). Lubāb al-ta’wīl fī ma‘ānī al-tanzīl, taḥqīq : Muḥammad ‘Alī Shāhīn, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah – byrwt-al-Ṭab‘ah al-ūlá.

12-al-Baghawī, Abū Muḥammad al-Ḥusayn. (1420h). tafsīr al-Baghawī (Ma‘ālim al-tanzīl fī tafsīr al-Qur’ān), taḥqīq : ‘Abd al-Razzāq al-Mahdī, Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī – Bayrūt.

13-Ibn ‘Āshūr, Muḥammad al-Ṭāhir. (1984m). al-Taḥrīr wa-al-tanwīr, al-Dār al-Tūnisīyah lil-Nashr – Tūnis.

14-al-Rāzī, Fakhr al-Dīn. (1420h). Mafātiḥ al-ghayb, Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī – Bayrūt.

15-al-Shawkānī, Muḥammad ibn ‘Alī. (1414h). Fatḥ al-qadīr, Dār Ibn Kathīr – Dimashq.

16-Abū al-Sa‘ūd, Muḥammad al-‘Imādī, Irshād al-‘aql al-salīm ilá mazāyā al-Kitāb al-Karīm, Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī – Bayrūt.

17-al-Sa‘dī, ‘Abd al-Raḥmān ibn Nāṣir. (2000M). Taysīr al-Karīm al-Raḥmān fī tafsīr kalām al-Mannān, taḥqīq : ‘Abd al-Raḥmān al-Luwayḥiq, Mu’assasat al-Risālah.

18-Sayyid Quṭb. (1412h). fī ẓilāl al-Qur’ān, Dār al-Shurūq – Bayrūt.

19-al-Ghazālī, Abū Ḥāmid Muḥammad ibn Muḥammad. Iḥyā’ ‘ulūm al-Dīn, Dār al-Ma‘rifah-byrwt.

20-Ibn manẓūr, Jamāl al-Dīn. (1402h / 1984m). Mukhtaṣar Tārīkh Dimashq li-Ibn ‘Asākir, taḥqīq : rūḥīyah al-Naḥḥās ; wa Riyāḍ ‘Abd al-Ḥamīd Murād ; wa Muḥammad Muṭī‘, Dār al-Fikr lil-Ṭibā‘ah wa-al-Tawzī‘ wa-al-Nashr – dmshq-al-Ṭab‘ah al-ūlá.

21-Ibn Qayyim al-Jawzīyah, Muḥammad ibn Abī Bakr. (1416h / 1996m). Madārij al-sālikīn bayna Manāzil Iyyāka na‘budu wa-iyyāka nasta‘īn, taḥqīq : Muḥammad al-Baghdādī, Dār al-Kitāb al-‘Arabī – Bayrūt – al-Ṭab‘ah al-thālithah.

22-al-Tuwayjirī, Muḥammad ibn Ibrāhīm. Mawsū'at fiqh al-qulūb, Bayt al-afkār al-Dawlīyah.

23-Sa'dī Abū Ḥabīb. (1408h). al-Qāmūs al-fiqhī, Dār al-Fikr – Dimashq.

24-Ibn Khallikān, Aḥmad ibn Muḥammad. (1900m). wafayāt al-a'yān w'nbā' abnā' al-Zamān, taḥqīq : Iḥsān 'Abbās, Dār Ṣādir – Bayrūt.

25-al-Dhahabī, Shams al-Dīn Muḥammad. (1985m). Siyar A'lām al-nubalā', taḥqīq : majmū'ah min al-muḥaqqiqīn bi-ishrāf al-Shaykh Shu'ayb al-Arnā'ūṭ, Mu'assasat al-Risālah, al-Ṭab'ah al-thālithah.

26-Ibn Fāris, Aḥmad. (1979m). Maqāyīs al-lughah, taḥqīq : 'Abd al-Salām Muḥammad Hārūn, Dār al-Fikr.

27-Āl Sa'dī, 'Abd al-Raḥmān. (2002M). Bahjat Qulūb al-abrār, taḥqīq : 'Abd al-Karīm Āl al-Duraynī, Maktabat al-Rushd.

28-Abū al-Baqā' al-Ḥanafī, Ayyūb ibn Mūsá. (1419H). al-Kullīyāt Mu'jam fī al-muṣṭalaḥāt wa-al-furūq al-lughawīyah, taḥqīq : 'Adnān Darwīsh, Mu'assasat al-Risālah – Bayrūt.

29-Ibn manẓūr, Jamāl al-Dīn. (1414h). Lisān al-'Arab, Dār Ṣādir-byrwt.

30-al-Fīrūzābādī, Majd al-Dīn. (1426). al-Qāmūs al-muḥīṭ, taḥqīq : Maktab taḥqīq al-Turāth fī Mu'assasat alrsālt-Bayrūt.

31-al-Ṣafadī, Ṣalāḥ al-Dīn. (1420h / 2000M). al-Wāfī bi-al-Wafayāt, taḥqīq : Aḥmad al-Arnā'ūṭ ; wtrky Muṣṭafá, Dār Iḥyā' al-Turāth – Bayrūt.

32-Ibn 'Asākir, Abū al-Qāsim 'Alī ibn al-Ḥasan. (1995m). Tārīkh Dimashq, (al-mutawaffá : 571h), taḥqīq : 'Amr ibn Gharāmah, Ṭab'ah Dār al-Fikr.

33-al-Qazwīnī, Zakarīyā. Āthār al-bilād wa-akhbār al-'ibād, Dār Ṣādir – Bayrūt.

34-al-Rāzī, Zayn al-Dīn Muḥammad ibn Abī Bakr. (1999M). Mukhtār al-ṣiḥāḥ, taḥqīq : Yūsuf al-Shaykh Muḥammad, al-Maktabah al-'Aṣrīyah – Bayrūt.

35-al-Jurjānī, 'Alī ibn Muḥammad. (1983m). alt'ryfāt, taḥqīq : Jamā'at min al-'ulamā', Dār al-Kutub al-'Ilmīyah – Bayrūt.

Issue N: 26 – vol 1 / Issn:2958-8537
36-Abī Na‘īm al-Aṣbahānī. (1998M). ma‘rifat al-ṣaḥābah, taḥqīq : ‘Ādil al‘zāzy, Dār al-waṭan – al-Riyāḍ.
37-‘adad min al-mukhtaṣṣīn bi-ishrāf al-Shaykh / Ṣāliḥ ibn Ḥamīd, Naḍrat al-Na‘īm fī Makārim Akhlāq al-Rasūl al-Karīm, al-Ṭab‘ah al-rābi‘ah, Dār alwsylt-Jiddah.